

المجلة

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - جمهورية العراق
المجلد الثاني والعشرون - العدد الاول - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م



هذا العدد كالمالوف في مضامين
المورد معقود على الدراسات
والنصوص المحققة والاثبات
الفهرسية التي تخدم تراثنا
العربي - الاسلامي

المورد

مجلة تراثية نصف سنوية



تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - جمهورية العراق

المجلد الثاني والعشرون - العدد الاول - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مركز تحقيقات كاميونير علوم إسلامي

رئيس التحرير عبد الحميد العلوجي

سكرتير التحرير صادق هامل ديكان

السراسين

بقلم الباحث

زهير أحمد القيسي

وزارة الثقافة والاعلام - بغداد

الحضارة الرومانية أرادوا أن يعطوا الاسم الذي يحصل معنًى السلب والتسمير الذين كانوا في الواقع خليطاً من العرب والبربر كما كان فيهم جماعات من الروم ومن الاسبان ومن اليهود يعاونون الفاتحين ، واستعمال كلمة سراسنة عند الغربيين يعني العرب أو المسلمين وتعريب الكلمة بعرب أو مسلمين لا يؤدي معناها الحقيقي النفسي لديهم (١).

لقد كان المسلمون يشكلون مشكلة للعالم المسيحي الغربي . فقد حدث في نظر الاوربيين في مطالع العصور الوسطى تحول في القوى في الاقسام البعيدة من الشرق واعتبر ذلك العالم شعباً هائجاً هم العرب أو السراسنة اجتاحت وخرب أراضي واسعة حتى وصلت الكارثة أخيراً الى اسبانية والشواطئ الإيطالية وبلاد الفال ، وقد لخص (بيد الميجل) قبل وفاته سنة ٧٣٥م الأحداث تلك بقوله : لقد قام الوباء المروع المتمثل بالسراسنة (المسلمين) بتخريب مملكة الفال . الخ (كذا) ! كان الاوربيون قد سمعوا بالسراسنة (العرب) قبل الاسلام بزمان طويل ، وعندما غير السراسنة دينهم لم يكده أحد يلحظ ذلك في بادئ الأمر . فمثلاً يذكر تاريخ للعالم يعود الى القرن الرابع ان السراسنة كانوا يحصلون بقوة القوس على ما يحتاجون اليه في الحياة ، ولم يكن هناك أي حاجة للمزيد من المعلومات عنهم فكان الباحثون وحدهم هم الذين يتجادلون حول اسمهم المشتق من سارة زوجة ابراهيم رغم انهم من سلالة هاجر كما يدل على ذلك اسمهم الثاني AGAREAL وهاجر هي الأمة التي طردت الى الصحراء مع ابنها اسماعيل ... هذا التضارب كان مشكلة ...

لقد برزت صورة الاسلام أثناء الحروب الصليبية ، وكان السراسنة بالنسبة للحجاج النصارى الى بيت المقدس مجرد أعداد زائدة لا وجود لها ومجرد كفار تافهين (كذا) وقد اتهم المسلمون بأنهم وثنيون وان « محمدًا » هو صنمهم الرئيس وكبير آلهة السراسنة (كذا)

من المشكلات اللغوية والتاريخية التي اعترضت اللغويين والمؤرخين على مدى مئات السنوات دون أن يجدوا لها حلاً ، مشكلة السراسين ، وما تفرع عن هذه المفردة من مشتقات وتصحييف وتحريف . وقد تتبعنا هذه المشكلة سنين طويلة تعقبنا فيها هذه المفردة حتى صرنا نستطيع القول اننا توصلنا الى حلها بصورة نهائية جازمين ، رغم أن كثيراً ممن وصلوا الى هذا الحل لم يقطعوا فيه بالجزم وشابت حلولهم الشكوك والهفوات . . . ولسوف نستعرض في هذه المقالة المصادر التي وقعنا عليها والتي تناولت هذا الموضوع .

السراسنة LES SARRAZINS كلمة آتية من الكلمة اللاتينية SARACENUS نقلاً عن اليونانية SARAKENOS ، وقد ظهر هذا الاصطلاح للمرة الاولى في مؤلفات كتاب القرن الاول الميلادي وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان طويلة على أطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين ويهددون طرق التجارة أو يحمونها بتكليف من القوتين العظيمين يومذاك . ويدخل في التسمية الانباط وأهل الحيرة وتدمر، والكلمة اليونانية تعني ساكني الخيام . ويذكر بعض الباحثين أن أصل الكلمة آت من شرقي SHARQI وهذا محتمل لأن هؤلاء البسود كانوا يعيشون في شرق الامبراطورية الرومانية . وقد كتب كاتب اغريقي من القرن السادس الميلادي بعد سباحة في الجزيرة العربية أن ثمة فرقاً كبيراً ما بين سكان اليمن والسراسنة ولكن لا بد في الأرجح أن نرفض الفكرة التي تعيد أصل الكلمة الى سارة زوجة ابراهيم (ع) لأن العرب لا علاقة لهم بها وهي أم اسحق لا اسماعيل .

والكتاب المسيحيون في اوربة العصور الوسطى كانوا يفرقون في التسمية ما بين العرب فيطلقون على من كان يعيش منهم وراء البحر الابيض المتوسط اسم الاسماعيليين، بينما يطلقون اسم السراسنة على من جاؤوهم فاتحين في الاندلس وفي جنوب فرنسة وفي صقلية فكانهم وهم ورثة

التوراة تسمى بلاد العرب أو بلاد الشرق وبنو المشرق حيثما وردت باسم (قدم) وأهلها (بنو قدم) وقد ذكر الأب هنري دي لامانس اليسوعي البليجيكي الاصل المستعرب والمستشرق ان SARASINS تصحيف شرقيين وأشار الى ان بطوطه قال : سمعتهم يقولون عند دخولي القسطنطينية سراكنو ... سراكنو(٤).

وتفصيل كلام ابن بطوطه في ذكر سفره الى القسطنطينية العظمى : ولما وصلنا الباب من أبواب قصر الملك وجدنا به مائة رجل معهم قائد لهم فوق دكانة وسمعتهم يقولون : سراكنو سراكنو ومعناه المسلمون ومنعونا من الدخول(٥).

وقد تعرض هيرودوت اليوناني ابو التاريخ الى هذا الموضوع وكان ذا نزعة انسانية يختلف بها عن زملائه من الرومان الشرقيين(٦) فتحدث عن قصة ابراهيم الخليل وزوجته سارة العاقرة وكيف زوجته بجاريته أو قينيتها هاجر ، ثم طردها الى صحارى الجزيرة العربية حيث ولدت ابنها اسماعيل في مكة ونبط لها بشر زمزم ثم كيف أنجب اسماعيل اثني عشر ولداً وصار أباً للعرب ، ولهذا قيل لأبناء هاجر التي كانت عبدة أمة قينة لسارة انهم قيون سارة أي عبيدها ، وناقش هيرودوت هذه المسألة ثم يقر ببداة ان العرب عبيد فعلاً ولا قيون بسبب هذا الحدث الاسطوري .

ان معنى كلمة سارة في عبرية التوراة يطابق الكلمة الاكديّة شارو وتعني ملك وفي العربية سارة القوم أي سادتهم ورؤساؤهم ، أما هاجر فاسم مشتق من الهجرة وهاجر معناها قرية ، وفي العربية : الهاجري من لزم الحضر والبناء ومن هنا قيل لبعض المدن العربية هجر وفي لهجات اليمن هكر(٧).

وتعرض المسعودي لمسألة قيون سارة فقال : ان الروم الى وقتنا هذا - توفي المسعودي سنة ٣٤٦هـ = ٩٥٦م - تسمى العرب (ساراقينوس) وتفسير ذلك طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل وانها كانت أمة لسارة(٨) . ويرى سيد أمير علي ان كلمة ساراقينوس مشتقة من صحارى أو نازحين أو شرقيين(٩) . وقد أوردت المعاجم الغربية هذه اللفظة بصيغة ساراسين واستعملتها اللغة الانكليزية الوسيطة استعارة من (ساراسينوس) الرومانية المتأخرة وهذه عن ساراكن اليونانية المتأخرة بمعنى بدو بادية الشام ثم أطلقت على العرب بعامة(١٠).

ان نص كلام المسعودي هو : وأنكر نقفور على الروم تسميتهم العرب باسم ساراقينوس وتفسير ذلك عبيد سارة طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل وقال تسميتهم عبيد سارة كذب .

غير أن مثل هذه الأباطيل زالت بعد عدة قرون واستطاع علماء اللاهوت والفلسفة أن ينقلوا الى المسيحية ما كان يذكره ابن سينا عن الحضارة الاسلامية . فمثلاً استخدم روجر بيكون (- ١٢٩٢م) من أجل تفخيم منصب البابا ما ذكره ابن سينا عن الحضارة الاسلامية . فمثلاً استخدم روجر كان توما الأكويني يستهدف السراسنة بالفعل عند ما كتب دراسته الكبيرة (الخلاصة) .

وكان أول من قابله التجار الغربيون بين السراسنة هم المسلمون الذين كانوا يرهبونهم ، وبعد فترة أصبحت التجارة تتطلب اتصالات على المستوى الحكومي فكانت التحالفات التي جرت بين مدن كامبانيا وبين السراسنة تقوم على هذا المستوى .

وفي القتال الذي دار بين الصليبيين والسراسنة في الشرق كانت هناك مناسبات يسلم فيها الصليبيون بأن العدو يعترف بالقيم التي كان الناس يبدون لها تقديراً رفيعاً .

وقد تأثر الامبراطور فردريك الثاني النورماندي من أسيرة هوهنشتافن بالمسلمين وأقام في لوسيرا مستعمرة للسراسنة .

وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر سقطت كلمة سراسنة SARACENS تدريجياً من الكلام المتداول بين الناس .

وفي سنة ١٧٠٨ كتب سايمون اوكلي الاستاذ في اوكسفورد كتابه تاريخ السراسنة :

HISTORY OF THE SARACENS

ومجد الشرق الاسلامي ورفعته فوق الغرب(١٢) . لقد عنيت مجلة (لغة العرب) البغدادية سنة ١٩٢٩ بهذا الموضوع فورد فيها مما يتعلق بالسراسنة الالفاظ التالية :

SARRASINS . سراكينوس . سراكندي . سراكنو . شرويون . سرويون . سراسين . سراكسة . شراكسة . سراكنة . سراكا ، سرحيون . شريقيون . عرب مسلمون(١٣) .

وهذه المواد أكثرها غفل عن التوقيع ولكن الواضح الأكيد انها كتبت بقلم الأب انستاس ماري الكرملّي الحافي العلامة النغوي ، وهو فيها جليلاً يتبنى وجهة نظر معينة في هذه المفردات . فهو يذكر ان الفرنسيين يسمون العرب الذين دخلوا ديار الاندلس وديارهم بالسراسين ، والانكليزيين يكتبونها SARCEN والرومان SARACENI واليونانيون SARRAKENOI ، وذهب أغلب الباحثين ان اللفظة محرفة عن (شرقيين) وهو ما نص عليه لغويو الفرنسيين والانكليزيين والطيالان والاسبان ، ومحال ان السراسين أو السراسين تصحيف شرقي ، وفي

الذي يصل بين اليمن والشام أخذاً الاوربيون والاسبان بصيغة (سييرا) بمعنى جبل (١٢).

وهذه الملاحظة قيمة تفيد في رد اصل سبيزا الى العربية غير ان لا علاقة لها بالسرائين ، ولكن الكرمللي تمسك بها حتى بعد ملاحظة كرنكو ، فتراه لم يع حقيقة ان الاوربيين ، والمسيحيين بصورة عامة ، يعتبرون التوراة كالانجيل كتاباً واحداً ويسمونهما (الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد) ومن البدهي انهم يسلمون بما جاء فيه عن سارة وأبناء قينتها هاجر ، فكان من الطبيعي أن يطلقوا على العرب والمسلمين بعامة اسم قيون سارة .

اما لفظة الشراكسة أو الشركس أو الجرركس من قوميات الاتحاد السوفياتي (السابق) فلا نظن أن لها علاقة بالسرائين ، لأن معنى جرركس باللغة الفارسية هو الجندي البار ، وقد أطلق هذا الاسم على هذا الشعب فهم الجرركس والعرب يسمونهم شركس وسركس وسراكس (١٤) ولا ندري إن كان هناك علاقة لاسم سوراكية أو مسرقا أو مسريقا وبين اسم سراقية بن عمرو الذي فتح المنطقة التي تقع ضمنها بلاد الشركس في أيام عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثاني ، ولكننا ندري أن هناك علاقة بين سوراكية وبين اسم سوريا الحالي . يقول ديسو ان الصفويين من عرب اليمن القدماء قد سكنوا بلاد الشام وليس في الشام كلها خير من البقعة التي سكنوها وهي الصفا من الرحبة في حرة وادي رجيل في زراعة القمح ، أما المحصول فيجمعه الناس ويخزنونه ثم يتركونه في رعاية الشيخ (سراق) ولي هذا الاقليم وورث الاله عند الصفويين القدماء .

زاد ديسو هذه الفقرة ايضاحاً وكان قد ذكرها في مقدمة كتابه دون تفسير ، فقال : على السفحين الجنوبي والجنوبي الشرقي لجبل حوران كانت النقوش الاغريقية التي كتبها الانباط تعد كثيرة منذ منتصف القرن الثاني الميلادي أي بعد قليل من تبعية هذه الاصقاع للامبراطورية الرومانية في بلاد العرب ، ولم يبدأ الصفويون في كتابة نصوص اغريقية إلا في القرن الرابع الميلادي في ملح السرار سنة ٣١٥ م . . . لقد فقدوا حتى أسماء آلهتهم لأننا لو وجدناهم يذكرون اللات - الآلهة فهم يذكرونها بأننا اثينا ، وإن إلهاً كبيراً من آلهة الصفويين أصبح لا يعرف إلا باسم زوس صفاثينوس أي :

(ZEUS SAFATHENOS) وقد رأينا ان هذه التسمية جاءت بعد تكوين جماعة من الصفويين تسمت باسم (الرحبي) (قبيلة الرحبي) واليوم أصبحت ديانة هذا الاله المحلي زوس يحتفظ بها مذهب الشيخ سراق وهو مذهب له تقدسه وتبجيله في الرحبي ، على ان اشتقاق اسم سراق غامض كل الغموض ويصح أن نقره

وذكر ابن الاثير : ان الروم تسمي العرب (سارقيوس) يعني عبيد سارة (١١).

والمفردة عند ابن الاثير غير مفردة المسعودي وهي الأصوب .

ان هذه الدلائل تؤكد ان كلمة السراسين قد انحدرت من ساراقيون ، أو قيون سارة حسب النطق العربي ، غير ان الكرمللي واصل اصراره على ان لا علاقة لها بسارة وقيون ، وانها مشتقة من لفظة (سرزين) واصلها سرحة بلفظ واحد السرح وهو مخلاف باليمن واخر مراسي البحر هناك ، واعتمد في قوله على كيشرودافلوي اللذين ذكرا أن SARACENI أو SARRCENI جيل من عرب اليمن وكذا معجم جورج پوست للكتاب المقدس الذي ذكر أن ARACENI قطر قديم في جنوب اليمن وهو (سرحة) كان فيه قبيلة من العرب هم بنو جرم الذين فتحوا الفتوحات الجبلية في صدر النصرانية ، أي في صدر العهد المسيحي .

ان كلمة سراسين في اللغتين الاندلسية (الوندالية) والبرتغالية هي SARRACENO ، SARACENI ، وفي اقطونية لغة كاتلوننية SARRAHI وهي قريبة من سرحة ، وكذلك : SARRXN وفي اللغة البنسية : SARACE

قال الكرمللي : يعسر قبول رأي ابن الاثير في نسبتهم الى سارة وربما نسبت الى السراة : الجبل الذي يصل ما بين أقصى اليمن الى الشام ، فلا عجب أن يسمى العرب : سروين ، إذ يشمل هذا الاسم اليمانيين أي القحطانيين والحجازيين أي العدنانيين أما نسبتهم الى صحراويين فوهم . وقد تحرفت الكلمة الى سراكنة وسراكسة ثم شراكسة أي الشركس والجرركس .

قال البطرك بولس مسعود : تسمت دول العرب عموماً بدول السراكسة نسبة الى محل بين مكة ويثرب أو في الطريق من مكة الى القدس يدعى سوراكية أو مسرقا أو سرقا أو مسريقا . والشرق هو غير اسم الشراكسة .

لقد اعترض المستشرق كرنكو على رأي الكرمللي فكتب اليه قائلاً : لا أوافقكم على رأيكم في رد اصل اسم (سارسان) الى سرحة ، فقد كان الرومان وبعدهم الأقوام الاوربية جميعاً قد اشتقوا الاسم المستعمل عندهم من اللفظ اليوناني ولاسيما في المائة الرابعة SARAKENOS وإن الحرف C اللاتيني كان يلفظ K إذن فالكلمة في الاصل هي SARAKEON ساراقيون (١٣)

لكن هذا الايضاح الجلي جعل الكرمللي يصير على رايه فكتب مرة أخرى دون توقيع : ان كلمة السراة التي سمى العرب بها في الاندلس كل سلسلة جبال مثل جبل السراة

من كلمة عبرية يفسرها الاستاذ فينكلر بلفظ الصحراء ، ومن الكلمة السريانية (شرقو) أي ساكن الصحراء ، وربما اشتقت من الكلمة الأخيرة لفظة سرازين أي المشاركة SARACENES و SARRASINS . وعلق مترجم ديسو هنا قائلا : ان هذه الكلمة يقال انها تحريف لكلمة شرقيين وقد ظلت علما على المسلمين من القرون الوسطى الى منتصف القرن السادس عشر (١٥) .

ان ديسو ومترجمه لم يطلعا على رأي المسعودي ولا ابن الاثير في نسبة سارا سين الى قيون سارة أو انهما لم يأخذا بذلك الرأي . ولكن ارسال فعل ذلك ، قال : ان الاوربيين كانوا يطلقون لفظ سراسين على الغزاة المسلمين الذين كانوا يهاجمون بلادهم على سواحل البحر (١٦) . وإذا كان لفظ سراسين هنا قد أطلق على هؤلاء الغزاة أخذاً من اللفظ العربي الذي منه كلمة سراقين = سارقين وله علاقة بسراق = النشيط ، وسوراقية البلد ، فان كلمة جديدة انحدرت منها تلك هي كلمة سراسان . ولما كان الامر كما ذكر كرتكو في ان حرف الكاف K يحل محل حرف C الذي ينطق سينا مرة وكافا مرة أخرى في الاوربيات فان كلمة سراسان هذه أصبحت سرکان أو كرسان ، ثم نقلها العرب بلغتهم فصارت قرصان أي لصووس البحر . قال تيمور باشا (١٧) ان لفظة قرصان من لفظة كورساير أي لص البحر . وما كورساير في الاصل إلا (سورساير) التي جاءت من سورسان : سراسان ، من السراسنة والسراسين نفسها .

ان الباحث جرجي زيدان كان قد ذكر ان اليونانيين اطلقوا كلمة ساراسين على اهل جزيرة العرب وان SARACEN هو اسم قبيلة من سكان أعالي الجزيرة يظن البعض انها منحوتة من الشرقيين لأن تلك القبيلة كانت تقيم في شرقي جبل السراة (١٨) نقل ذلك عن الباحث الاوربي كلاسير ثم قال : ان من قبائل العرب التي عرفها اليونانيون ولا نعرف لها دولا : الشرقيون = السراسين = SARACEN . والسكون = سكانية = SAKANITAE . وقبيلة الراسين من القبائل التي عرفها اليونانيون في جزيرة سينا ووراءها شرقا وأصل هذا الاسم تحريف الشرقيين في العربية ، وقال آخرون انه تحريف الصحراويين أو السراقين أو الشركاء أو غيرهم ، ود اشتهر هذا الاسم عند اليونان حتى اطلقوه على سكان جزيرة العرب . انتضى كلام زيدان .

ونقول ان هذا الباحث الجليل قد تخطب كثيرا في فهم المفردة ، وكان بوسعهم تجنب ذلك لو أدرك ان السراسين مؤلفة من كلمتين ، إحداهما كلمة قيون ، وان السكون والسكانية عند اليونان تحريف لكلمة اصلها

كلمتان إحداهما القيون أيضا ، وهما تعنيان بلا شك القيون أو القيين المذكورين في التوراة مع الفرزيين والحثيين وغيرهم من الأقوام وهم بنو القين العرب لاحقا ، وكانوا أي القيين هم عرب صحراء سيناء أصحاب النبي شعيب أو يثرون حمو موسى في أرض مدين ، اما الراسين فغلط أصله سقوط حرف إذ هم السراسين بالذات ! ولا مكان للشركاء على الاطلاق .

ان بني القين أو (القينيون) هم أساس مبحثنا الذي تعرضنا فيه لموضوع السراسين وهو بحث موسوعي ضخم يقع في ألف صفحة جاهز ومنجز .

وأضاف زيدان : ان من أخبار السراسين عند اليونان انهم كانوا لا ينفكون عن مهاجمة حدود مصر منذ القدم ، والدولة الرومانية لم تستطع كف اذاهم إلا بمعاهدات عقدتها معهم تدل على ضعفها عن مناوأتهم وسمورها بذلك الضعف .

وقد قصد الكاتب بتلك الحملات ، موجات هجرة قضاعة ، وبنو القين بطن منهم تلك الموجات التي بدأت قبل الاسلام بزمان طويل ودامت الى ما بعد الاسلام منسربة من أعماق الجزيرة العربية الى الشام والعراق ومصر وشمال افريقية بأسرها حتى الاندلس ، وامتدادا الى افريقية حتى السودان والحبشة ومن بينها هجرات بني القين الذين صاروا الى بلقين وبلقين والبلانسة والبلوي على نحو فصلناه في كتابنا (القين) بأسهاب . وربما كان الدليل على ذلك ما قاله زيدان نفسه :

في أواسط القرن الرابع الميلادي مات ملك السراسين فخلفته امرأته ماوية ، فحلت ماوية نفسها من بنود المعاهدة وحملت برجالها على فلسطين ومصر واستولت على مدينة بطرا حتى أتت برزخ السويس فاضطر الانباطور فالانس على تجديد المعاهدة بشروط أوفق للمهاجمين ، وكان بين السراسين جماعة كبيرة من المسيحيين ولذلك كان في جملة الشروط أن يكون لهم أسقف خاص بكنيستهم فسلموا لهم أسقفا اسمه موسى وأصبح أولئك العرب بعد هذا حلفاء للمصريين ينصرونهم على أعدائهم (١٩) .

ولسنا ندري الى أي سراسين تحدث اليونانيون الذين أشار اليهم زيدان وأدمج فيه ما يتعلق بالسراسين لدى الرومان ، وإن كنا نعلم صلة المنذر بن ماء السماء ببني القين عن طريق أمه ماوية (٢٠) هذا الاسم الذي تكرر إطلاقه على عدد من الملكات منهن ماوية أم ملوك الحيرة التي طالما نبزت بأنها ابنة الصائغ أو الحداد إشارة الى انحدرها من بني القين .

وعلى كل حال فان الحديث يتعلق بالانباط في بطرا

ولا بد أن تكون الرواية منسحجة على شقيلة أو صقيلة مدنتهم التي استمدت اسمها مما له علاقة بالقين من صياغة سنيوف وقبون حدادين ، أما اشارته الى سيناء فواضح انها تدل على موضع سكن بني القين أو القينيين الأصليين من جماعة يثرون = شعيب .

ان مقالة الكرمللي تستحق مزيداً من العناية، فتحت عنوان (السرجيون أو الشرين) كتب يقول : ان كلمة سراكين وساركيني وساراكيون في الانكليزية والرومانية واليونانية لا يمكن أن يكون الاجانب قد اتخذوها من كلمة شرقيين ، لأنهم لا يعرفون العربية ، والعرب لا يعرفونها ولا ترى في كتبهم ، ولفظ الشرقي يشمل من كان في ديار الشرق الأدنى ولا يدل على المسلم وحده دون غيره وان المسلم يفضل لقب المسلم دون غيره ، فمن المحال أن يكون السرازين أو السراسين تصحيف : شرقي .

وكان زيدان قد أثبت أصل هذه الكلمة (٢١) باعتبارها رأي السواد الأعظم من المستشرقين يراد بها العرب ولكننا ردنا - يقول الكرمللي - عليه ذلك بأنه ضعيف لأن اليونان والرومان إذا أسموا العرب لا يسمونهم بلفظة من لغة العرب بل من لغتهم هم ويلوح انه الأقرب الى الصواب لأن بلاد العرب ما برحت معروفة منذ القديم ببلاد المشرق وأهلها بنو قدم أي بنو المشرق والغالب أن يراد بهذا الاقسام الشمالية من جزيرة العرب أما اقسامها الجنوبية فيسمونها أرض الجنوب : تيمن . وفي القاموس : التيمن الجنوب ومنها اليمن . وتدلل هذه اللفظة في أصل اللغات الشرقية على اليمن أو اليد اليمنى ، والسبب في اطلاقها على بلاد العرب ان من يستقبل المشرق بوجه كان الجنوب الى يمينه ، وكان العبرانيون يقيمون في شمالي جزيرة العرب وهم هناك إذا استقبلوا مشرق الشمس كانت بلاد العرب الى يمينهم فسموها التيمن أي اليمن ثم تشابه المعنيان : اليمن والجنوب . انتهى كلام الهلال . ثم نقرنا عن أصل هذه الكلمة في معاجم لغويي الفرنسيين وفي كتاب حضرة الأب لامنس عن الالفاظ الفرنسية المأخوذة من العرب فالفيناها جميعاً يقولون مثل هذا القول أي ان كلمة سراسين من تصحيف الكلمة العربية شرقيين . ومع هذا فاننا نستبعد هذا الاشتقاق لأن الاعاجم إذا أرادوا أن يسموا قومًا أجنبيي الجنس أطلقوا عليهم اسماً مأخوذاً عنهم أو من بلادهم أو اسماً يضعونه لهم أخذاً عن لغتهم ، والحال ان العرب لم يتسموا بالشرقيين كما انه يستحيل على الافرنج أن يسموا الناطقين بالضاد باسم غير موجود في لغتهم .

ثم أشار الكرمللي الى ان الافرنج كانوا يستعملون سرزين أو سراسين منذ القدم . هنا يميل الكرمللي الى الاقتراب من جوهر الموضوع انعطافاً مع رأي ابن الاثير في

أن سارقيون منسوبة الى سارة وهي موجودة في لغة الافرنج وعلى طريقة النسبة بلسانهم : سراكينو ، أو سراكينوي اشارة الى أنهم قيون سارة أو عبيدها كما تنسب الى من يكون في خدمة الملك أو السلطان أو القيصر فتقول ملكي أو سلطاني أو قيصري لأن بعض الاسماء قد يضاف اليها أو ينسب اليها لأدنى علاقة بها . وقد ورد في المعجم اليوناني الفرنسي لاوكسفورد SARCA و SARAKA كما جاء في المعجم اللاتيني الفرنسي لكيشر ودافلوي نقلاً عن امياس مرشليس ويونيور أن ال SARACENENOI أو SARACENI جيل من عرب اليمن (٢٢) .

ان تتبعنا لفظة سراسين في اللغة اللاتينية أو لغياتها كالبرتغالية ساركينو والانجليزية سارسين والقطلونية ساراهي والبلنشية سارسي تصلنا بأن اليونان الاقدمين والرومان أطلقوا اسم ساركا على قطر من بلاد العرب وأن ساركين أو ساركينوي قوم من العرب ولو كانت اللفظة منسوبة الى سارة SARA لفيل SAROI لا ساراكيينو . وقد نبه مسعد الى غلط النسبة الى الشرس في كتابه الدر المنظوم . أما ان بعض الكتبة المسيحيين عربوا الكلمة بصورة سراكنة فهذا عند ترجمة القديس صفرونيوس بطريك أورشليم كما ذكر المطران اقليس مسلمي العرب باسم السراكسة (٢٣) .

ان اطلاق اسم ساراقيين = قيون سارا على العرب والمسلمين بصفة خاصة وعلى الشرقيين بصفة عامة أمر اكيد رغم كل اجتهادات الكرمللي أو بفضلها فكلما مال الى التقيض اقترب من الحقيقة ! وها ان الباحث الفرنسي الجاد كليبر في حديثه عن الفجر وتاريخهم يؤشر الى ذلك بكل وضوح فيقول ان بعض الفجر وصلوا الى فرنسا فسموا سراسين SARACIN وعوقب بعضهم لأنه اعتنق المسيحية ثم ارتد الى السراسين .

ان تعبير سراسين الذي أطلق على الفجر كان أكثر شيوعاً ولكنه لم يستمر طويلاً فان ذكرى المسلمين الغزاة أخذت تتلاشى من أذهان الفرنسيين ، فمن الطبيعي أن يعيد الى أذهانهم هؤلاء الزوار الجدد وهم يحملون بعضاً من ملامح السراسين القدماء . وربما كان أصل سراسين هو : كاراك وهي الكلمة التي ميز بها فلاحو البروفانس ، الفجر . وفي معجم فورنيه وضع كلمة غجر أمام كلمة كاريكو ، وكلمة كاريكو أمام كلمة غيتان وخيتانو . وما زال فلاحو بروفانس السفلى يصرون على ان الفجر يسمون كاريكو . وصارت كاريكو تعني الديك ، وبالانكليزية : كوك ، وبالفرنسية كوكوريكو .

ان كاريكي في الاصل أو كاريغي (قرجي أو قرهجي) أول ما أطلقه الفرس على الفجر ويذكر جول بلوش أن

ونعتقد ان اسم قيون سارة هو الاسم الذي أطلق على الصابئة باعتمادهم ملة خارجة على أصحاب التوراة، شأنهم شأن الاسماعيليين أبناء هاجر أنفسهم .

نتابع مع كليبر : ان بعض الفجر مبيضي النحاس الاوربيين جاء من تركية ويسمون كاستوراري وهم من عبدة أو من مقدسي (سارة) النبية أو الرئيسة لعشيرتهم التي تعمل في صناعة المعدن والتجارة وهم يحتفون بتمثال لها اسمه ايشتاري أو استارتي ويتلقون بركاته .

ويمكننا بسهولة ربط اسم كاستوراري بموضوع السراسين ، فالاسم يحتوي بوضوح على مقطع (ستورا) وستورا هي اشتورا أو اشتار أو عشتار أو عشتروت ، وفي الفارسية وبعض الاجنبيات ستار وشتار . الخ وهي هي ذاتها سارة ، لأن اسم سارة يقابل شاريت وشاريات في الفينيقية أي ساراي كما ورد في التوراة ، وفي الاكدية شاروت وكلها متفقة مع عشتار (الزهرة أو أفروديت أو فينوس أو اناهيد . الخ) ولما كانت اشتار=عشتار هي ربة الحب والجمال وهي المسؤولة عن شؤون الحب والزواج والبغاء المقدس في معابد الأمم كلها قبل عصر التوحيد ، فهذا يعني ان سارة ربما كانت كاهنة عليا من صنف الكاهنات الاكديات المحظور عليهن الزواج أو على الاقل انجاب الاطفال مثل أم الملك الاكدي سرجون (سرقون=سرقين) وفي هذه الحالة يحق لها ان تهدي لزوجها إحدى جواريها لينام معها من أجل انجاب طفل يعتبر ابناً للكاهنة العليا ولعل هذا يفسر سر قصتها مع هاجر واسماعيل ولكنها حين ولدت اسحاق تخلت عن اسماعيل وطالبت بأن يكون ابنها صاحب الحق الاول في الإرث ، ومن هنا أطلقت على اسماعيل ونسله اسم قيون سارة أي عبيدها .

وهكذا نفهم كيف أن هؤلاء الكاستوراري كانوا من عبدة سارة كبقية السراسين فهم منهم ولعل عبادتهم لتمثالها كان خضوعاً منهم لما رموا به دائماً بأنهم عبيدها حتى استقر في أعماقهم انها سيدتهم ثم صيروها ربتهن ودانوا لها بالعبادة والعبودية ، وربما كان ذلك بقية متبقاة من عبادات عشتار ، وان ما قامت به سارة كان على نحو ما هو ما تقوم به عشتار من حماية بنات المعبد والسيادة عليهن .

وبذلك يكون جبل السراة الذي طالما نسب الكرمل السراسين اليه مرتبطاً تمام الارتباط باسم سارة الذي امتاحت منه العربية كلمة السراة (سراة القوم) وهو في الأصل اكدي : شارو أي ملك ، لان الملكية والكهانة العليا أمر واحد .

بعض الفجر في اذربيجان ما زال يعرف باسم كاراكي وهي كلمة تركية تعني متسول ، ولعل قرهجي لها علاقة بكلمة كرج=كرج=جورجيا (وتذكر هنا ما قلناه عن الجراكسة الشركس الجركس) وفي اللغة الكردية يقال للفجر : قرچ .

لقد استعملت ساراكينوس أو ساراكينوس SARAKENOS - في اليونانية SARACAENUS في بداية العصور الوسطى لتدل على مواطن من جمهورية شاراسين CHARACEN أو جاراكين CHARAKAIN وهي بلاد تقع في دلتا نهر دجلة ويعتق هذا الشعب 'صابئية' SABIISM أو الزابئية ZABEISM والحق انهم طائفة من هذه الديانة . ثم قام البيزنطيون واتباعهم من مسيحيي الغرب باطلاق اسم ساراكايني SARACAENI على مسلمي العصر الوسيط ثم اخفت كلمة ساراكايني ، وذلك هو السبب الذي جعلنا نصف الساراكاينوس بكلمة سراسين تلك الكلمة التي آسئ لفظها ومعناها .

هكذا حصل التطور في كلمة ساراكينوس - ساراسين - كاراك كاسم للفجر في اقليم بروفانس ، وهكذا اختار سكان البيرانس للفجر اسم كاراكوس من كلمة كاراك الذي تعرض بدوره للتصحيف بصيغة كاسكاروت ، وقد شرحت هذه الكلمة بالقواميس بأنها صفة للسراسين والمور (المغاربة) وابسوهيميين واللصوص والبائسين والفقراء (٢٤) .

ومن العجيب ان هذه الكلمة ظلت علماً حتى اليوم على هذا الضرب من الناس ، فنحن نقرا بقلم اليوناني الكاتب كازانتاكيس ان هناك جبلاً في اليونان تدور حوله أحداث خطيرة عن قيامة المسيح لنشر العدل صار ماوى للمنفقين والمشردين والفقراء والجائعين والاشتراكيين اسمه جبل ساراكيناد (٢٥) ونؤكد صلة اسم هذا الموضع من السراسين أي قيون سارة سبة وشتيمة لمن احتشدوا فيه !

أما ما يتعلق بجمهورية شاراسين أو جاراكين في دلتا العراق فلا يمكن أن تكون - على رأي غضبان رومي الصابئي العراقي - إلا (مملكة كرسين) باللغة الآرامية وهي مملكة كانت في أيام الفرثيين وأصلها من المندائية [المنداعية] آرامية الصابئة ، كرخ سيانة ، قال : كرخ تعني كرخ الماء بالمعنى الفصيح ، والعامي العراقي اليوم، والسيان الماء العكر بلفظه لدى العامة البغدادية .

وواقع الحال ان كرسين وكراسين وشاراسين وجاراكين كما أشار فؤاد سفر واحد (٢٦) .

ما سكه أو صكه القين الحداد ، ولا بد ان لهذه التسمية علاقة بما ذكره سعد بقوله : ان العلاقات التجارية بين طرفي ما يسمى بالحروب الصليبية وصلت من الكثافة خلال تلك الحروب ذاتها الى درجة جعلت الصليبيين يضربون عملة خاصة بهم سميت (سراسين) تحمل رمزاً مسيحياً وكتابة افرنجية على الوجه ، ورمزاً اسلامياً وكتابة عربية على القفا (٢١) .

لقد رغبتنا ان نختم هذا الفصل - وهو جزء من تل - بما ذكره البروفسور نيكلسن الانكليزي عن التأثير الثقافي العربي الاسلامي في صقلية وبخاصة في عهد فردريك الثاني هوهنشتاوفن (٥١٩هـ = ١١٩٤م) حين قال : كان بالامكان ان نرى فلكيين من بغداد بلحاهم الطويلة وجبيهم الخفاقة ويهودا يقبضون رواتب الأمراء مترجمين للكتب العربية ... (٢٢)

وقد علق المترجم على هذه الفقرة بقوله : استعمل نيكلسن هنا لفظة SARACEN نقلاً عن المستشرق شاك ، وقد طال الجدل حول هذه اللفظة وأصلها ، فاما ما افرنجية لم تقطع برأي مقنع ، وتطرق الى اللفظة الأمير شكيب ارسلان في كتابه عن غزوات العرب لأوربة إذ قال - والكلام لرينو - عن المسلمين بلفظة سارازين التي قيل انها أطلقت على العرب لكونهم سمر الالوان أشبه بالحنطة السمراء التي يقال لها : سارازين . وقيل بل هي محرفة عن ~~سارا~~ أي شرقي أو شراقة أي شرقيين بالجمع . وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته ان ملك القسطنطينية سأل عنه هل هو سراكنو ؟ أي هل هو مسلم .

وقال رينو في كتابه (غزوات السارازين) الذي ترجم معظمه شكيب ارسلان في كتابه آف الذكر ص ٣٩ : عندنا أغلاط كثيرة منها ما وقع فيه بعض مؤرخي ذلك الوقت مثل تلقيبهم المسلمين بالسارازين ولفظة بايين PAYENS أي وثنيين .

وفي ص ٤٠ : ثم انه كان المجر (المجريون) قد جاءوا من شرقي أوربة وعاثوا في نواحي فرنسة فاختلط على الناس ما عانه هؤلاء بما عاته العرب بحيث كثيراً ما كان أولئك القصاص يسمون المجر : سارازين ، ويسمون الفنل : سارازين . إ.هـ . ويقول بعضهم ان الكلمة جاءت من سراقين العربية لاشتغالهم بالقرصنة البحرية .

تابع المترجم : على انه يسرنا أن نقول اننا اكتشفنا اصل هذه اللفظة واستطعنا أن نضع حداً لهذه البلبلة وذلك اعتماداً على كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ص ١٤٣ إذ جاء فيها : وانكر نقفور على الروم تسميتهم العرب ساراقيينوس وتفسير ذلك عبيد سارة طعناً منهم

ولا بد أن يكون الامر على هذا النحو لأن كليبر يضيف ان الفجر يسمون سارة باسم سارة كالي ، ساره كالي ، سارا كالي ، ساركالي وهي مفردة جاءت منها او جاءت هي من ساركاني ... سارساني ثم سراسان وسراسين وسراسين .

وللعقاد في بعض كتبه رأي فهو يقول ان العرب سموا شرديين SARRCENA عند قوم من أوربة وان الاسم في اصله بان يطلق على قبيلة عربية تسكن الى الشرق من جبل السراة ولعلمهم سموا سراتين نسبة الى الجبل ثم تحرف الاسم بلغات الاوربيين الى سراسين (٢٧) .

وراي العقاد يميل الى رأي الكرمللي ان لم يكن هو اخذ منه ، ولم يحاول أن يربط بين السراسين وبين القبيلة التي كانت تسكن الى الشرق من السراة وهي قبيلة بنو القين دون غيرهم . و اضاف العقاد ما يدعم رأينا دون أن ينص عليه بالذات : لقد صار يقال في نيجيريا لأمير المؤمنين (ساركن مسلمي) وما قولهم ساركن إلا مأخوذ من شيوع اسم سارسن وسراسن واسراسين (٢٨) .

ان موضوع هجرات قضاة (والقينيون منهم) الى شمالي افريقية وافريقية السوداء مستحق لوحده مبحثاً ليس هنا موضعه غير اننا لا بد أن نقول ان لفظة ساركن النيجيرية منبثقة من أحشاء كلمة سارقين بمعنى السيد العظيم عند شعوب الشرق الاوسط القديمة ، ثم صارت الى سارقن وساركن وهي ذاتها كلمة سارسين ... يقول طرخان : ان شعب الجلف الافريقي يطلق على المقيمين في حوض السنغال اسم سراكول أو ساراكول أي الرجال الأحمر غير الصريحين في الصفات الزنجية ، ولديهم كلمة ساركن في دولة مالي الاسلامية أي ملك ، وحتى اليوم يقال (ساركن المسلمين) (٢٩) مما يدعم رأينا في انتقال كلمة قين السامية القديمة الى افريقية .

وما من شك في ان صدور كلمة ساركن وسارسن من افريقية هو الذي جعل الاوربيين يطلقون اسم سيروكو SIROCCO على الريح الجافة المثقلة بالغبار التي تهب من شمالي افريقية عبر البحر الابيض المتوسط الى اودية الجنوبية ، كما هو الاسم في الانكليزية عن اللغة الإيطالية SEROCCO أو SIROCCO

ويرد البعلبكي الكلمة الى شرق دون مناقشة ، وكذلك يقال في الانكليزية SQUIN لنقد ذهبي ايطالي وتركلي قديم كما هو الاسم في الإيطالية أخذاً عن الفرنسية SEQUIN و ZECHINO (سكوني) أخذاً عن العربية سكة وهي حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم (٣٠) وماسكوني إلا من أصل واحد مع سراسين وسراكين ، وأصلها الاول سك القين أي

CHARRACENE الواقعة في دلنا دجلة والتي تضم
بضع جزر من الخليج كجزيرة خارج وغيرها وكان أهلها
يعتقون دين الصابئة (٢٢) .

ان خلوصي هو الوحيد الذي اقترب من حقيقة معنى
السراسين من بين كل الذين أسهموا في التنقيب عنها ،
والذين حالت مختلف الحوائل بينهم وبين الاعتراف بدقة
أصلها التاريخي . . . ونريد أن نقول في آخر الأواخر اننا
الفنا في موضوع (القين) وبهذا العنوان الصغير كتاباً
كبيراً ناف على الألف صفحة وما موضوع السراسين
إلا بعضه .

على هاجر وابنها اسماعيل وانها كانت أمة لسارة وقال:
تسميتهم عبيد سارة كذب والروم الى هذا الوقت تسمي
العرب ساراكينوس .

وعلى هذا فلفظة SARAKENOS تعني العرب
خاصة وربما عم مدلولها فشمّل المسلمين عامة وهي من
دون شك من أصل يوناني وأقدم ذكر لها في العربية هو
في كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٤هـ
وأصلح تعريب لها هو (أقنان سارة) لأن لفظ (قن)
العربية مماثلة للفظ (كينو) اليونانية وربما اشتقت منها .

ان لفظة ساراكينوس عند المزهيري تدل على جميع
مواطني الجمهورية البحرية التجارية لد

الهوامش :

- د.ت ص ٢١٢ نقلا عن جريدة المقطم (١٠ ذو القعدة ١٣٣٧ هـ)
- ١٨ - العرب قبل الاسلام : جرجي زيدان ، باعتناء حسين مؤنس ،
القاهرة د.ت ص ٤٠
- ١٩ - المصدر السابق ص ١٠٩ « نقلا عن شارب »
- ٢٠ - الكامل لابن الأثير ١٩٥١
- ٢١ - مجلة الهلال : العرب او السرحيون : جرجي زيدان ٢٩٧٦
(١٩٠٤ م)
- ٢٢ - مجلة لغة العرب ٧/٤ (١٩٢٩)
- ٢٣ - مختصر تاريخ الكنيسة للومون : اقليمس داود ص ٣٢٢
- ٢٤ - الفجر : جان بول كليبر ترجمة لطفي الخوري - بغداد ١٩٨٢
- ٢٥ - المسيح يصلب من جديد : نيكوس كازانتزاكيس ، ترجمة شوقي
جلال ، القاهرة ١٩٧٠
- ٢٦ - مجلة سومر العدد ٢٤ سنة ١٩٦٨
- ٢٧ - حضارة الاسلام - مجموعة مؤلفات عباس محمود العقاد ،
المجلد العاشر ، بيروت ١٩٧٨ ص ١٤٦
- ٢٨ - المصدر السابق ص ٢٦٢
- ٢٩ - امبراطورية فانة الاسلامية : ابراهيم طرخان ، القاهرة
١٩٧٠ ص ١٩٧
- ٣٠ - قاموس المورد : منير البعلبكي ، ص ١١٠
- ٣١ - تاريخ مصر الاجتماعي - الاقتصادي في ضوء النمط الاسيوي
للانتاج : احمد صادق سعد ، بيروت ١٩٧٩ ص ٢٥٩ نقلا عن:
- J.W. THOMPSON : ECONOMIC AND
SOCIAL HISTORY OF THE MIDDLE
AGES N.Y 1959 V1 P: 403
- ٣٢ - تاريخ الادب العباسي : نيكلسن ، ترجمة صفاء خلوصي ،
بغداد ١٩٦٧ ص ٢٦٢
- ٣٣ - الحياة اليومية للمسلمين في القرون الوسطى : علي المزهيري
ص ٨٧ اعتمادا على المصدر السابق .

- ١ - تراث الاسلام - القسم الاول - تصنيف شاخت وبوژورت ترجمة
محمد السموهوي تعليق وتحقيق شاكر مصطفى ، مراجعة فؤاد
زكريا - الكويت - سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب - ١٩٧٨ ص ٢٧ (هامش الترجمة) .
- ٢ - المصدر السابق - الفصل الاول : الصورة الغربية والدراسات
القريبة الاسلامية - العصور الوسطى - الصراع بين عالمين ،
بقلم ماكسيم رودتسون ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣١ و ٣٥ و ٤١ و ٤٣ و ٤٤
و ٥٧ و ٦٧
- ٣ - فهارس مجلة لغة العرب : حكمة توماشي - بغداد ١٩٧٢
- ٤ - مجلة لغة العرب - بغداد - الجزء الرابع السنة السابعة ١٩٢٩
- ٥ - رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب
الاسفار . روجعت وصححت على عدة نسخ صحيحة بمعرفة
لجنة من الادباء - المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة الاستقامة
بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م الجزء الاول ص ٢٢٤
- ٦ - هيرودوت : كامل مصطفى الشبيبي - مجلة آفاق عربية - بغداد ،
العدد ٣ السنة ٨ ، تشرين الثاني ١٩٨٢
- ٧ - الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة : علي الشوك ، لندن
١٩٨٧ والكتاب يعتمد على كتاب فريز وباتاي بهذا الموضوع .
- ٨ - التنبيه والإشراف : المسعودي ص ١٤٣ (القاهرة ١٩٣٨ ص ١٤٣)
- ٩ - مختصر تاريخ العرب والاسلام : سيد امير علي ، ترجمة رياض
رافعت ، القاهرة ١٩٣٨ ص ٤
- ١٠ - هيرودوت - المصدر السابق ، عن قاموس ويبستر ص ١٤٣
- ١١ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير ١١٧١
- ١٢ - مجلة لغة العرب : ف. كرنكو الجزء ٥ السنة ٧
- ١٣ - مجلة لغة العرب الجزء ٦ السنة ٧ ص ٢٢٢
- ١٤ - قفقاسيا : محمود شاكر - بيروت ١٩٧٢ ص ٢٩
- ١٥ - العرب في سورية قبل الاسلام : رينيه ديسو ، ص ١٦٣ و ٢٨
- ١٦ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا : شكيبي
ارسلان ، بيروت ط ٢ - ١٩٦٦
- ١٧ - معجم الفوائد ونوادر المسائل : احمد تيمور باشا - القاهرة